

الحمد لله الذي هدانا لهذا  
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

24

الكتاب

التواضع

المستقيم

# الْبَيْتُ

الرَّبُّ (تعالى) هو المحسن إلى خلقه ، المحب لعباده ،  
الذي يعاملهم بلطف وكرم ، ويريد لهم الخير ، ويكره لهم  
المنفعة والسوء .

قال رسول الله ﷺ :

« يقول الله (تعالى) : مَنْ عَمِلَ حَسَنَةً فَلَهُ عَشْرُ أَثْنَانِهَا  
وَأَزِيدُ ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَحَرِّقْنَا مِنْهَا أَوْ نَجِّنْهُ ، وَمَنْ عَمِلَ  
قُرَابَ الْإِسْمِ حَقِيصَةً لَمْ يَكُنْ لِي شَرِكًا ، مَنْ عَمِلَتْ مَعْلُومَةٌ  
مَعْلُومَةٌ » .  
(رواه مسلم)

إِنَّ اللَّهَ (تعالى) هو الربّ معبوده ، فهو يرحم عباده ،  
ويصالحهم عن أخطائهم ، ويعاملهم برحمته وحبه .



قَالَ (تعالى) :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى  
الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٨

(سورة النحل: ١٨)

وَقَالَ الْعُلَمَاءُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : تَدْعِي اللَّهَ سِتِّجَانَهُ  
إِلَى التَّعَاوُنِ بِالْبِرِّ وَتَقْوَاهُ بِالتَّقْوَى لَهُ ، لِأَنَّ فِي التَّقْوَى وَجْهًا  
لِلَّهِ (تعالى) وَفِي الْبِرِّ وَجْهًا لِلنَّاسِ ، وَمِنْ جَمِيعِ بَيْنِ وَجْهٍ  
لِلَّهِ (تعالى) وَوَجْهٍ لِلنَّاسِ فَلَمْ تُكُنْ سَعَادَتُهُ وَوَعْدَتْ نِعْمَتُهُ

وَالْتَعَاوَنَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى لَهُ مَيَّزٌ خَفِيٌّ ، فَوَاحِشٌ عَلَى  
الْعَالَمِ أَنْ يَعْنِ النَّاسُ بِعِلْمِهِ لِيُعَلِّمَهُمْ ، وَيُحْيِيَهُمُ الْعِلْمُ  
بِمَا لَهُ ، وَالشُّجَاعُ بِشُجَاعَتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ يَكُونُ  
الْمُسْلِمُونَ مُتَعَاوِنِينَ وَمُتَعَاوِنِينَ كَالْيَدِ الْوَاحِدَةِ ، يَشْرَطُ  
أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الْحَقِّ وَالْبِرِّ فِي الْعِلْمِ أَوْ الْإِحْسَانِ .

كَذَلِكَ أَمَرَنَا اللَّهُ (تعالى) بِسِرِّ الْوَالِدَيْنِ وَالْإِحْسَانِ  
إِلَيْهِمَا ، فَهِيَ سِرٌّ وَخُودُ الْإِنْسَانِ ، وَلَمْ يَحْثَا بِرَأْسِهِمَا  
فِي سَبِيلِ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا .

قَالَ (تعالى)

﴿ وَنَفْسٍ رَّكْبًا لَا تَعْدُوا إِلَّا إِلَهُهُ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِحْسَانًا إِنَّمَا يُمَتَّعُ عَلَيْكَ الْكَسْرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آلِهَةٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَلَقَدْ لَهُمَا قَوْلًا مَكْرَهًا ۝

وَأَضَعُ لَهُمَا حَتَّاجَ الْكَلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا

كَمَا رَحِمْتَ صَغِيرًا ۝﴾ (سورة الإسراء: ٢٣ - ٢٤)

وَمِنْ عَسَدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ - سَأَلْتُ رَسُولَ

اللَّهِ ﷺ :

أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (تعالى) ؟ قَالَ : « الصَّلَاةُ عَلَى

وَلَدِهَا » . قُلْتُ : أَلَمْ أَيْ ؟ قَالَ : « بَرُّ الْوَالِدَيْنِ » . قُلْتُ : ثُمَّ

أَيُّ ؟ قَالَ : « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . (مسند أحمد)

وَمِمَّا يُسَمَّى قَسْرُ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الْإِثْمِ ، أَنَا وَخَلَاءُ جَاءَ إِلَى

عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَقَالَ لَهُ :

— إِذَا لِيَ أَمَّا يُلْعَقُ مِنْهَا الْكَسْرُ ، وَهِيَ لَا تَنْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَّا

وَيُظْهِرُ فِيهَا مَعْنَى « هَلْ أَتَيْتَ حَتَّيْهَا بِذَلِكَ »

فَقَالَ عَمْرُ :

— لَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ بِذَلِكَ ذَلِكَ وَهِيَ تَسْمَى بِذَلِكَ

وَأَنْتَ تَصْنَعُ وَتَسْمَى بِذَلِكَ

وقيل لعلي من الحسن (٢٢٥)

سأترك من أمر الناس ، ولنكسك لا تأكل مع أمك من  
مصلحة .

فقال : أأخاف أن تسبق يدي يدها إلى ما تسبق عينها  
إليه ، فأكون قد غفلتها .

والأمر ليس لهم حواء إلا الجنة ، لأنهم عاشوا حياتهم  
وفق منهج الله ، وعاشوا في تسامح وحب لإخوانهم ،  
لذلك قام الله بحلة مرقمها السموات والأرض .

قال (عليه السلام) : (إني الأمر لكى نصيب « على الأوامر  
يتطرون « تعرف في وجوههم نصره النعم « ينفون من  
وجوه مستحشوم « حسانه مستك وفي ذلك غلبت  
المعروفات « ومراحة من تسيم « عينا بقربها  
المعروفات » .  
(سورة النقص ٢٢-٢٥)

لهم أنت أمر الرحيم ، الطيف بمساك ، الطيف ما  
فيها حوت به الملقاهير ، وأخلفنا بآمن بوالدينا وأخلفنا  
والحوادث وأمنحنا ، وولفنا لأن نكون من المتعاونين على  
أمر والعقوى ، لا على الإثم والعقوبات .

# التَّوْبَاتُ

انقطع العيث على عهد موسى عليه السلام حتى تلك الحرات  
والحيوان ، ومات خلق كثير ، فخرج موسى هو وقومه إلى  
الغلاء لكي يدعوا ربهم أن ينزل العيث ، ومضت ثلاثة أيام  
وهم يستغفرون ويكفون فرب أن ينزل المطر فقال موسى  
- اللهم أنت الغافل - انقموا استغيب لكم ، ، وقد

دعوتك وعبادك على ما ترى

فأوحى الله تعالى إليه :

- يا موسى إن فيهم لمن غلاة حرام ، وفيهم من يستغ  
لساناً بالعبادة والتمجيد ، وغلاة استحقوا أن تنزل

عليهم غصص ، وأنت تطلب لهم الرحمة ،  
كيف يخلص موضع الرحمة وموضع العذاب ؟

قال موسى :

— موسى هم يارب حتى نطرحهم من هنا ؟

قال الله ( تعالى ) :

— يا موسى أنت بهذا ولا تخاف ، ولكن يا موسى ، فلو  
قلكم بقلوب من العصى فعبادهم يفرعون معكم ، فاحرقوا  
بأعاصي عليكم

فجميع موسى قوتة وأتبعهم بذلك ، ففرقوا التبع  
ورفعوا أيديهم إلى الله وقالوا

— إلهنا جسدك من الزواجر عارون ، ورخصنا إلى مايت  
طالين ، فارتحمنا يا أرحم الراحمين .

فما زالوا على هذا الحال ، حتى نزل الغيث من السماء ،  
وذلك بفصل قوتهم

فستجيب الثواب الذي يقبل قوتة عباده واستغفارهم ،



ويغفر عن السيئات ، وهو سبحانه كثير  
الغفران والمغفرة ، وهو يفرح بعوبة العبد .

قال (لعالى) :

﴿ اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَاخُذُ  
الصَّدَقَاتِ ۚ وَاَنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ۝۶۰﴾ (سورة النورة : ٦٠-٦١)  
إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، التي  
تؤكد على أن الله (لعالى) هو التواب الرحيم ، الذي  
يقبل التوب ويتوب على الذنوب آيات كثيرة . وهي تلحح  
بإب الأمل والرحمة والمغفرة أمام العصاة والضالين  
ولا تؤنسهم من رحمة الله .

عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال :

« الله أفرح بصومعة عبده ، من رجل مرل عارجر دابة  
تهلكه معه واحقة ، فقام واستبسط وقد ذهب واحقة ،  
فطلسها حتى إذا أتركة الموت قال : أرحع إلى المكان  
الذي خلقتني فيه وأموت ، فإني مكانة أعتقني عبدة

فاستيقظ ، وإذا راحلته عند رأسه فيها طعامة

وخرقة وراثة وما يصلح . قاله أشد فرحاً بحرية عبده

المؤمن من خلق راحلته وراثة . . (مسند ابنه)

والحرية وأحب على الخوام . كما قال العلماء . لأن

الإنسان لا يكاد يخلو من قس أو معصية . سواء أكان

ذلك محمداً أو غيره . وإن خلا من ذلك ، فإنه لا يخلو

من وسوسة الشيطان أو الغفلة عن ذكر الله (تعالى) .

ولذلك نجده رسول الله ﷺ ، يرغم أنه صاحب الخلق

الرفيع ، والذي يحضر الله له ما تقدم من قبله وما تأخر ،

يقول :

« يا أيها الناس تَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوا ، فَإِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ فِي

اليَوْمِ مِثَاقُ مَرَكَةٍ » . (رواه مسلم)

وعنه ﷺ قال :

« إِيَّاكَ اللَّهُ (تعالى) يَسْتَفِيْ بِدَايَةِ اللَّيْلِ الْيَوْمَ فَمَسِيَّةَ النَّهَارِ ،

وَيَسْتَفِيْ بِدَايَةِ النَّهَارِ لِيَوْمِ مَسِيَّةِ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ

الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » . (رواه مسلم)

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَحْدِدْ وَقْتًا مُعَيَّنًا

لِلْعُزَّةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ، فَهُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي الْبَلَدِ أَوْ الْبُحَارِ ،

كَمَا أَنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ جَمِيعًا ، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا ، بِشَرَطِ  
أَن تَكُونَ هَذِهِ التَّوْبَةُ صَادِقَةً وَبَاطِنَةً مِنَ الْقَلْبِ ، وَأَن يَكُونَ  
صَاحِبُهَا قَدْ أَطْلَعَ مِنَ الذَّنْبِ .

قَالَ (عَالِي) :

إِذَا لَمْ يَأْمُرْ بِالتَّوْبَةِ أَلَمْ يَأْمُرْ بِالتَّوْبَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا يَقْبَلُوا مِنْ  
رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ . وَكَبُرُوا إِلَى رَبِّكُمُ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ  
الْعَذَابُ لَمْ لَا تَعْبُرُوا . (سورة الزمر ٥٣ ، ٥٤)

وَلَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ الْعَاطِلَ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَسْتَعِظُ بِهَذَا  
الْعِطَاءِ الرَّبَّانِيِّ وَهَذِهِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَيَسْتَغْفِرُ بِالتَّوْبَةِ  
وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَيَقْبَلُ عَلَى مَوْلَاهُ حَالِيًا مِنَ الْأَلَامِ وَالتَّوْبِ .  
اللَّهُمَّ يَا تَوَّابُ يَا رَحِيمُ أَجِبْ تَوْبَتَنَا ، وَبِقَبْلِ تَوْبَتِنَا  
كَمَا بَقِلَ التَّوْبَةُ الْأَتَمُّ مِنَ الدُّنْيَا ، وَبِإِعْدِ تَوْبَتَنَا وَمِنْ  
حَقَائِدِنَا كَمَا بِإِعْدَتِ سَبِيلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ .

# الْمُنَقِمُ

كان أبو جهل من أكثر المشركين الذين تصدوا للرسول ﷺ ودفنوه ، وقد آذاهم بسوته وبعظه ، وكان لا يظن أن الله (تعالى) بالمعرضة . وكان مستي آذاهم ويطش بهم الضحاي الحليل عبد الله بن مسعود .

وفي عروة بن ربيعة (تعالى) أن يسئ للمسلمين أنه (تعالى) يعجل ولا يعجل ، وأنه شديد الانقياد من الكفار والمشركين ، فكان ما حدث لأبي جهل على يد عبد الله بن مسعود نفسه يومًا وعروة لكل منصر

لقد خرج أبو جهل هو وصائر المشركين ، وكان يحترقونه في حباله ويقر وهو يقول في لغة وغرور

... ما ليكم الحرب العوان مني بالذم عمن حذيت مني

لحقني هذا والمقتني لتي

( والحرب العوان : هي الحرب الشديدة ، والسائل من  
الإبل ما كان في طرقة الشهاب والقوة ) .

وأنتك لم تجهل بسيفه ، وأنتني مشحرة بمسكته ،  
وراح يقسائل وهو يرفد هذا الكلام ، وشامت إرادة الله  
**المنتم** أن يقتني هذا المنجسر حنقه علي يد شهاب معطر ،  
فقام إليه معاذ بن عمرو بن الجموح ومعه بن عوفاء  
فصرخا بالسيف لحر صريحا .

وعندما مر عبد الله بن مسعود وحده في آخر رمق  
فوضع رجله على عتقه ثم قال له :

... من آخرك الله يا عدو الله ؟

لكن لما جهل وهو في هذا الموقف العسير قال في كثير

... لقد ارتليت مرتلي صغيا يا رؤعي الحنم

لما كان من بين مسعود إلا أن أظهر عليه ولله ثم استمر

إلى الرسول ﷺ لكي يتفرد بمقتل هذا الطاغية  
الحار ، فسعد الرسول لذلك وحمد الله .

فتبجح المنظم الذي يتنصم ظهور القادة والطامعين ،  
ويتنصم من الحارين والمبتكرين ، وذلك بعد أن يتفردهم  
ويمنهم ويتنصم الفرصة تلو الفرصة .

قال ( تعالى ) :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّهِ تَهْتَكُونَ كُتُبَهُ سَعِيدٌ لِلَّهِ  
عَمِلَ ذُو السُّعْتَمِ ﴾ .  
(سورة الاحزاب : ٤٥)

فالله ( تعالى ) المنظم عندما يتنصم من الطامعين ، هزيمة  
في الوقت ذاته يتنصم كساده المظلومين المصعومين على  
أمرهم . فبعد انتصار موسى ومن آمن معه وانتصم من  
فرعون وهامان وجنودهما ، وانتصر الرسول ﷺ وأتباعه ،  
فانتصم من بني حنظلة وبني النضير والوليد بن المغيرة  
وغيرهم .

وفي كل وقت وإن جدد من يصعد في قدسوة الله  
ويجدي دين الله على ظلم وكثريات ، وكان الأتباع هم

أَكْثَرُ مَنْ تَعَرَّضُوا لِلْأَذَى وَالطَّغَمِ وَالضَّحْدَى مِنْ

عِزْلَاءَ ، لَكِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) لَمْ يَكُنْ يَحْطِ بِصَبْرِهِمْ لِحَقَّةِ  
وَاحِدَةٍ ، بَلْ كَانُوا يَزِيدُهُمْ تَضَرُّعاً ، وَيَسْقُمُ مِنْ أَفْعَالِهِمْ  
فَلَقَدْ أَخْبَى اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ النَّارِ وَعَذَابِ الشَّعْرُورِ  
الَّذِي كَانَهُ ، وَأَخْبَى نُوحًا وَهُودًا وَمُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمُ  
السَّلَامُ ، وَأَضْلَمَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ قَدَرُهُمْ تَضَعِيرًا ، وَأَخْبَى اللَّهَ  
نُومِي مِنْ قُرْهُوكة ، وَهَمْسِي مِنْ نَبِي إِسْرَائِيلَ وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ  
وَأَخْبَى اللَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَ الْقَتْلِ وَمُحَاوَلَاتِ الْأَعْيَابِ  
الْمُتَكَرِّرَةِ عَلَى يَدِ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ ، وَأَعْلَمَ مِنْهُمْ نَصْرَ  
النِّقَمِ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَدِيَارِهِمْ وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَّةَ  
وَالشُّبُهَاتِ .

قَالَ (تَعَالَى) :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَفَعْنَا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا هُمْ أَغْلَىٰ عَلَيْنَا نَصْرًا  
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(سورة الروم ٥٢)

إِنَّ النِّقَمَ اللَّهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْعَاطِلِينَ عِدَّتْ وَرَحْمَةً ،

